الجزائر نيوز
www.djazairNews.info
الخميس 24 ديسمبر 2009
صفحة خاصة بالتعاون مع اللجنة الإعلامية لاحتفالية القدس عاصمة أبدية للثقافة العربية بالجزائر

هواري بومدين

فقيـــد العـرب

بقلم أ. إياد يوسف سلامة
فلسطين- غزة

قال تعالي: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا).

في صبيحة يوم الأربعاء الموافق السابع والعشرون من ديسمبر لعام ألف وتسعمائة وثماني وسبعون للميلاد فجعت الأمة العربية برحيل فارسها الرئيس هواري بومدين عن سنين عمر قليلة لا تتجاوز السادسة والأربعين، ولكنها زاخرة بالمواقف والمبادئ مقترنة بصدق الأفعال يستحق فيها الرجل صفة النيل والشهامة، تاركا خلفه تاريخاً شاهداً له بأنه رجل حرب وميدان لم يتقاعس عن دعم أي قضية عربية أو تحررية عالمية عادلة.

حيث شيد دولة ذات سيادة بعد تحريرها من براثن المستعمر الفرنسي استطاعت أن تحترق بعزتها وكرامتها كل المحافل الدولية ويكفيه فخراً وعزة بأنه كان أول من تحدث باللغة العربية مخاطباً دول الاستكبار بشجاعة الفرسان والجرأة العربية التي كانت غائبة عن تلك المحافل، وحيث أنه من ذلك الخطاب التاريخي تم اعتماد اللغة العربية إلى مجموع اللغات المتحدث بها في الأمم المتحدة .

إنه واضع أساس الجزائر الحديثة بعد تحررها وصاحب نهضتها، حيث أتبع ثورة التحرير بثورة صناعية وثورة زراعية وثورة ثقافية، إنه صاحب الشخصية التي نذرت نفسها لخدمة الأمة قبل المصلحة واستطاعت أن تكسب قلوب الجماهير وعقولها باستعمالها أسلوب التأثير وليس الضغط على الأخر.

إنه صاحب المقولة الشهيرة والشعار الاستراتيجي للجزائر حتى يومنا هذا ″نحن مع فلسطين ظالمة أو مظلومة″.

إنه لم يخش في الحق لومة لائم ولا سطوة ظالم، حيث قال له كسنجر وزير خارجية أمريكا ″سيادة الرئيس، أمريكا تعرف أنك لا تخاف أمريكا″، إنه رجل العزة والكرامة والشموخ والآباء التي تربى عليها في ربوع الجزائر، حيث أتم حفظ القرآن الكريم في صباه وعلمه لأبناء قريته وعلمهم اللغة العربية التي يعتز بها.

أما نحن كفلسطينيين فستبقى الأجيال المتوارثة تذكر لذلك الفارس المقدام خطابه في قمة الرباط 1974 الذي أكد فيه على أن:

لا وصاية على الفلسطينيين.

لا تفاوض، لا تطبيع، ولا تعامل مع العدو.

ودعا إلى ضرورة رفع التحدي ومقاومة الاستعمار والامبريالية، يذكرون لك أنه يعهدك الوضاء، وبجهود رئيس الدبلوماسية الجزائرية السيد عبد العزيز بوتفليقة تمكن الرئيس الشهيد ياسر عرفات من إلقاء خطابه الشهير في الأمم المتحدة عام 1976م، إنه المحفز لإطلاق الرصاصة الأولى للثورة الفلسطينية، حين خاطب الرئيس الشهيد ياسر عرفات في مبنى وزارة الدفاع الجزائرية عام 1964 أذهب واطلق طلقة واحدة ثم عد إلي، ففي حوار أجراه الشاعر الراحل محمود درويش مع الرئيس الشهيد ياسر عرفات في الذكرى الخامسة عشر لانطلاق الثورة الفلسطينية، تطرق الرئيس إلى أدق التفاصيل لانطلاق الثورة، حيث أكد في حواره أن التأييد الأول الذي تحصلت عليه الثورة وهي في مهدها من الجزائر، وأن أول مكتب فتح للثورة كان بالجزائر مكتب لقائد فرنسي من أصل يهودي كان يستعمل قبله لتعذيب الجزائريين.

وأن جزائر بومدين لم تبخل يوماً على الثورة في أي طلب في كافة المجالات من دعم سياسياً أو لوجستياً فاتحتاً ذراعيها لاحتضان الثورة الفلسطينية.

سيدي الرئيس هواري بومدين:

نم قرير العين يا صاحب مقولة ″بناء دولة لا تزول بزوال الرجال″، فها هي الجزائر شامخة عزيزة قوية بأيدي أمينة أيدي رفيق دربك وأمين أسرارك سائر على دربك مع فلسطين محافظة على عهدك لفلسطين والجزائريين متحدين خلف قيادة الرئيس عبد العزيز بوتفليفة لنشر الوئام في رحاب الجزائر الطاهرة بعدما أنهكتها أيام سوداء غابت بلا رجعة إن شاء الله، وعادت الجزائر لتلعب دوراً أساسياً ريادياً في جميع القضايا العربية والدولية .

فذكراك خالدة في وجداننا ووجدان كل أحرار العالم، وستبقى ذكراك وفكرك المنير نبراساً ينير للأجيال القادمة الطريق .

فرحمة الله عليك يا شهيد العرب.

وحماك الله يا جزائر الشهداء.

"الشاهق في علو المشهد"

لم يكن عبثا أن يكون الرئيس الشهيد هواري بومدين، أحد أهم عناوين الاسترسال الجزائري التلقائي، لصدقية ونجاعة خيار الثورة، ولم يكن جدلا أن يكون نهج السلطة والسياسة لجزائر ما بعد التحرير، أحد اشتراطات أصالة الفاتح من نوفمبر، كما لم يكن سببا لارتقاء قومية وهوية الوطن الجزائري في مرحلة ما بعد الخلاص، على النحو المشهود، ما لم يكن هواري بومدين في أهلها، باعثا وشهيدا.

تتناسل المقدمات في الذكرى، من تراكم ما خبرنا، ملء السمع والبصر، عن علاقة بومدين بالكون الأممي الصغير.. فعند كل أبجدية تكوين في أساس المعنى، تجد له حكاية، وتجد أيضا أهل الطواف من الرواة، ممن يقصون عليك أحسن القصص، في محاولة التحام مع شرف المرحلة، بالانتماء حينا والولاء أحيانا والترحم على الدوام .. وهكذا هو السعي الدؤوب نحو الشاهق في علو المشهد.

بومدين الجزائر، هو النسخة الوطنية لأمة تترنح من قسوة النوستالجيا، فالحنين الموجع، فالحب اللاهب به وإليه، فهو الفاعل قبل أي قول، والقائل بعد كل فعل، والراغم بالإرادة، والراغب بالكرامة.. وهو العلامة الدالة إلى الدليل، بحثا عن أيقونة عزٍ وفخار، تُخرج العرب من تيههم البعيد.. وهو المثل الأعلى لأمثولة قومية، بات رجالها يبكون من بعده على فقده، يرجون طريقه إلى حيث لا يسعى فيه ومنه، سوى الندرة النادرة، من قادة استثنائيين أمثال بومدين وعبد الناصر وعرفات.

لقد استطاع بومدين أن يتحرك بالجزائر حيث شاء، وكأنه قد تحالف مع نفسه على حمله الثقيل، حينما نقل الجزائر وزرعها ما بين مصر وسوريا، في حرب تشرين 1973م، ليجعلها أحد أجنحة الصقر العربي المقاتل، دفاعا عن كرامة الأمة وهيبتها، في مواجهة المحتل الإسرائيلي المغموس في مصائرنا سُما ناقعا .. وهو كذاك الذي وضع الجزائر في قلب الصراع العربي الإسرائيلي، حينما ولى وجهه إلى قبلته الأولى، ليغرس نفسه في القدس الشريف، في موقفه الشهير عندما أطلق جملته الوفيرة بما يليها، مع فلسطين ظالمة ومظلومة، حينها قلنا ولا زلنا نقول لبومدين: لا أكثر من هذا نريد.

وهكذا فقد قرن بومدين الفكرَ بالسلوك، والبيانَ بالبرهان، اندفاعاً لأمته ووطنه وشعبه وثورته المجيدة، فكان الرحيلُ افتتاحاً لجدلية لغز طويل، في تفسير نازلة الموت، على ترجيح بالتسميم غير المعلوم إلى يومنا هذا .. دون أن يترك شكاً لدى أحد، أن موته كان ضريبة الموقف.. ثم الكثير من الاجتهاد، تحليلاً وتنميطا.

رحم الله الرئيس هواري بومدين، ورحم الله الرئيس ياسر عرفات، ورحم الله الرئيس جمال عبد الناصر.. فثلاثة نبلاء قد قضوا في تواريخ خريفية لأمتنا، على نحو من الغيلة الشيطانية بالتسميم غير المسكون إلا بخوف من تبدل الأيام على أياديهم العربية الواثقة.

اللجنة الإعلامية لاحتفالية القدس
عاصمة الثقافة العربية ـ الجزائر

"صوفية السياسي"

علي شكشك

هو من الأشخاص الذين يوازنوننا في جدوى حياتنا، بعد أن نكتشف شيئاً فشيئاً كلما تفتحت علينا مسامُّ أبصارنا كم هي الأرضُ رخوةٌ تحتنا، وكم هي الجدران مائلة وكم هي العدالة هشة والنفوس أنانية، والظلم من شيم النفوس، هو من أولئك الذين يعادلون فكرةً ما نتعلق بها، حين نغلق أعيننا لعلنا نرى شيئاً أجمل مما تراه عيوننا المفتوحة على مشهد التدافع الإنساني، فهو قد تماهى مع الفكرة حتى أصبح هو، فقد أنكر ذاته حتى لم نعد نعرف اسمه الأول، ولم يعد يعني في الوعي الجمعي إلا تنسكه فيه، فلا يُذكر إلا للدلالة على تلك الكيمياء التي كانت تتفاعل في الزمان الذي أمسكه ذات مكان وغمسه بروحه فانسلت الألوان.

لم يمر عليه التاريخ، وإنما هو مرَّ على التاريخ، وأمسك به وقبض عليه، هزّه بيديه، وغيّرَ مجراه، وعندما رحلَ وقف التاريخُ برهةً مشدوهاً قبل أن ينتبه أنه استفاق، فإذا الرجل الذي كان رحل ما زال هاهنا، حاضراً فينا وبيننا، فهو ما غاب لكنما فقط "قضى نحبه"، وما زالت "حضرته" وروحه ونبضه تتموج وتتردّد ولا تخمد فهي تقتات من التعب، تعب الناس الذي لا ينضب.

لم يكن غريباً وهو يطوي مشروعه في ضلوعه، ويكابد تنسكه في آلام أمته أن يستلهم ويسند روحه إلى ضمير عمقه وأغوار جذوره، فكان الـ"هواري" والـ"بومدين" إثنين من الأولياء في الغرب الجزائري، أصدقَ ما يُحبُّ أن يذوبا في روحه ويصبحا "هواري بومدين"، نافياً بذلك ذاته عن ذاته، ليولد هو فيه، فكرةً ومعنى وتجردا.

هو ابن المدرسة الكتانية "الثانوية الدينية"، التي تركها عندما عرف أنّ السلطات الفرنسية سترغمه على التجنيد الإجباري، وهو ابن الأزهر الشريف، وهو الذي فتح عينيه على أبيه المزارع المنغمس بالأرض ويتلون وجدانه بجزائرَ مستعمَرةٍ أسيرةٍ معذّبة، كيف يمكن أن يتشكّل وعي الفتى ذي الثلاثة عشر وهو يشهدُ عمليات القمع الاستعماري البشع في الثامن من ماي لعام خمسة وأربعين من القرن الماضي، في منطقته قالمة، ثم كيف وهو في القاهرة يكابد الإحباط جرّاء هزيمة ثمانية وأربعين واغتصاب فلسطين، فينهمك في محاول إدراك أسبابها وأدوائها.

هذا الطفل الفتى الشاب الذي غرقَ في المكابدة الصامتة والمتابعة المتأمِّلة دون ضجيج، ربما كان يخبِّئُ بين ضلوعه حلمه ومشروعه وتصوره، وعقد عزمه عليه، وطوى روحه على روحه، ومضى بلا أضواء ولا ضجيج، مما حيَّرَ أعداءه الذين سمَّوه لاحقاً الرجل الغامض، والرجل اللغز، لمجرد أنّه لم يمنح نفسه إلا لأمته ولم يبُح إلا لشعبه ولم يضعف إلا أمام أهله، فهو ليس مديناً لفرنسا بشيء كما قال، مما حرّره من الإحساس بالأسر للغرب، فقد نشأ وتكوّنَ عربياً إسلاميّاً من قسنطينة إلى أعرق جامعات العالم، وقضى نحبه دون أن يزور بلداً غربياً واحدا.

حاملاً همَّ أمّته خرقةً على ظهره، متنسّكاً في الدرب إلى الانعتاق والحرية والعدالة والمساواة والمجد، كان يعبر ويعبّدُ الطريق، يصوغها حرفاً حرفاً، وشجرةً شجرةً، واصلاً آخر الليل بأوّلِ النهار، ككل الناسكين القائمين على أوجاع الناس وأشواق المضطهَدين، صوفياً سياسياً مؤمناً، فلا عجب أن يوازن أرواحنا في الركام، شاهداً على إمكانية تحقق فكرة الإنسان، فقد أصبح نهجاً وقطباً وصاحب طريق، للمُريد والمكلوم، والظمآن والمظلوم، من أوّل الحبِّ حتى فلسطين.